



استفزات

١ مئة عام على ولادة اندره مالرو، وعشرون عاماً على موت جورج براسينس. كان الاسبوع الثقافي الفرنسي حافلاً بالذكرى والتذكر. مالرو اخترق منذ زمن حدود الثقافة الفرنسية، روائياً ومؤرخاً للفن وفوق ذلك نموذجاً للمثقف الذي لا يخشى الانخراط في العمل السياسي او العسكري. فسواء بمشاركته في الحرب الاسبانية الى جانب الجمهوريين في صفوف الالوية الاممية، او بعمله في المقاومة الفرنسية تحت اسم "الكولونيل برجيه"، او باعتلائه المنصب الوزاري الذي استحدثه الجنرال ديغول خصيصاً من اجله، قدّم مالرو ألمع الصور عن المثقف الملتزم، حتى بعدما تخلى عن الانتماء اليساري الذي كان يلزم مفهوم الالتزام.

على رأس وزارة الثقافة، لم يكتف بالورشة العظيمة التي تعهدها، قيماً على احدى الثقافات الاكثر تنوعاً في التاريخ الحديث. فبالاضافة الى سعيه الى ديموقراطية ثقافية من خلال زرع "بيوت الثقافة" في كل مناطق بلده، كان من الاوائل في الغرب الذين فتحوا الباب عريضاً امام ارث الحضارات المهمّشة. ويذكر مثلاً انه كان وراء اول اطلالة كبيرة لكنز توت عنخ آمون على العالم، في معرض مشهود في باريس عشية حرب ١٩٦٧. ورغم الخصوصية الفرنسية الشديدة التي جمعتها الى ديغول، فان الثنائي الذي شكلاه بدا كأنه يحاكي فلسفة العلاقة بين المثقف ورجل السلطة اكثر مما يندرج في لحظة محددة من تاريخ بلدهما.

لم يكن مجرد سمير للحاكم، او خليل صاغ. وفي ظل رجل تاريخي قلّ نظيره، اظهر مالرو ان المثقف وحده بين الوزراء ينجح في الحفاظ على الندية. وبنتيجة هذا الانجاز، لم يخسر مالرو في العالم شيئاً من المكانة التي كانت امنتها له اعماله الادبية، وان خسر بعضها في فرنسا نفسها، بل اضحى رمزاً يسعى الى تقفي اثره كل من كُتب لهم مجاورة رجل دولة.

لا يقارن جورج براسينس (Brassens Georges)) باندره مالرو. رجل لا يحب البطولات، فكيف التبحر بها كما فعل مالرو طيلة عمره؟ لا يخشى الموت من اجل فكرة، ولكن شرط ان يتباطأ الموت. له مثل مالرو طرف علاقة بمقاومة الاضطهاد النازي، لكنه بالكاد يذكرها في اعماله. يساري الهوى، والاصح فوضوي، ومع ذلك لم يظهر اهتماماً يذكر بما يتجاوز عالمه الصغير.

غير ان براسينس يبقى في الذاكرة الفرنسية اسماً كبيراً. السلطة السياسية التي طالما احتقر مظاهرها، اعترفت له بمكانته منذ فترة. العديد من الشوارع والمدارس في ارجاء فرنسا تحمل اسمه، وفي باريس حديقة كبيرة على طرف الدائرة الخامسة عشرة اهديت الى ذكراه بعيد وفاته. وفي الذكرى العشرين لرحيله خصص له تلفزيون "فرانس ٢"، وهو بادارة رسمية، سهرة كاملة كانت مناسبة لسماع شتى انواع الانتقادات ضد التزمت والسلطوية والظلم، الى جانب الكثير من الحنان والشاعرية وكلمات الحب. جورج براسينس كان مغنياً. لا، ليس مطرباً ولا موسيقاراً، مجرد مغن. وشاعراً.

٢٢ لم يصل صوت جورج براسينس الى خارج دائرة الناطقين الفرنسية الا في ما ندر. الشعر الحديث قليلاً ان يترجم، فكيف بالشعر المغنى وهو المعترف في مرتبة ادنى؟ القليل القليل من جاك بريل وصل الى الانكليزية ولغات اخرى، لكن براسينس ظل محصوراً في لغته، رغم انه عند



الكثيرين يضا هي بريل وكل روّاد "اغنية النص" جراءة وشاعرية. كلماته كأنها لا تحتاج الى موسيقى، وهو اصلاً لا يغني بالمعنى المعهود، انشاده اقرب الى الكلام العادي منه الى الغناء، ولا يحتاج الى اكثر من قيثارة وكونترباس، ومن دون اضافات كهربائية او الكترونية، حتى ينتعش قلب المستمع وعقله. انه مغني الاعتدال والصعوبة في آن واحد. لا احد مثله عرف كيف يلعب بالمفردات النادرة، فيخرج لحناً حتى من الثقيلة منها. مؤسف ان لا يستطيع معظم العرب التمتع باغاني براسينس. مؤسف لانهم لو استطاعوا لكانوا ربما ادركوا بعضاً من الغرب، هذا البعض الذي يرى في حرية الفرد قيمة مطلقة ولا يخشى ان يقارع كل مقدساته، واولها اللغة.

براسينس هو ابرع من نزع عن اللغة حشمتها المصطنعة. قبل ثورة ايار ١٩٦٨ التي حرّرت لغة الصحافة والاعلام، كان براسينس واحداً من النادرين الذين لم يتوانوا عن ادخال كلمات تُعدّ نابية او بذئية في اغانيه، دون ان يسقط هو في البذاءة. له اغنية عن الشتائم مثلاً، تُسلسل القديم والجديد منها، واخرى متأخرة عن البلاهة عنوانها *Le roi des cons*، وهو ما يمكن تعريبه ب"ملك الأ...". (غريب ان العضو الرامز الى البلاهة لا يثبت على جنس في الترجمة). اما المقدسات الاخرى، فحدّث ولا حرج: الشرطة والقضاء وطبعاً الكنيسة نالوا من استقزازات براسينس ما يكفي لادخاله جهنم المتمردين عشرات المرات. لكنه دخل بدل منها جنة الذاكرة الجماعية.

ولعل ذلك يعطي فكرة عن التغيّر الذي اصاب المجتمع الفرنسي، ومدى مساهمة براسينس فيه. III من اقوال اندره مالرو نبوءة اثارت الكثير من اللغط في حينها: "ان القرن الحادي والعشرين سوف يكون دينياً او لا يكون". سخر البعض من الفكرة، فقد صدرت فيما كانت تتراجع وطأة الدين في الغرب الى حد لم يكن ممكناً تصور ان يعود يحرك الشعوب. وسخر آخرون من الصيغة: كيف لا يكون القرن الحادي والعشرون، سأل احدهم؟ الصيغة كانت قاطعة نهائية، على عادة مالرو. استقزازية. هكذا بدت وقتئذٍ. الى ان اطلّ القرن الحادي والعشرون، واختفى الاستقزاز.

سمير قصير



| | | |
|---------------------|---------------------|--|
| Id-Reference | 01-Pr-000730 | |
| Media | (Support) | HC |
| Title | | استفزازات |
| Subtitle | | |
| Section | | مرور الكلام |
| Language | | عربي |
| Source | | النهار |
| Page | | |
| Date | | ٢٠٠١/١١/٥ 5/11/2001 |
| Author | | سمير قصير |
| Co-Author | | |
| Keywords | | |
| | Persons | اندره.مالرو - جورج.براسينس - كولونيل.برجيه - جنرال.ديغول |
| | Locations | فرنسا |
| | Dates | ١٩٦٧ |
| | Themes | فرنسا - ثقافة.فرنسية - جورج.براسينس - جنرال.ديغول - اندره.مالرو - حرب.١٩٦٧ - سياسة.فرنسية - شعر.فرنسي - موسيقى - ثورة.أيار.١٩٦٨ |
| Subject | | |